فيرابند الشخصية و فلسفة اللامعقول

شادلي هواري
طالب دكتوراه / جامعة وهران2
تحت إشراف: ا.د. موسى عبد الله/ جامعة سعيدة

ملخص:

عرف "فيرابند" بفيلسوف الفوضوية بسبب أفكاره الداعية إلى التفتح على كل التقاليد الإنسانية، يدعو للابتعاد عن النسقية التي يفرضها العلم باسم العقلانية، يروج لفكرة التعدد من منطلق شعار"كل شيء جائز" دافع عن السحر والأسطورة واللاعقلانية، هذا التصور الفريد من نوعه، والمتميز عن غيره والجريء في أفكاره، الثائر على كل العقلانيات راجع لشخصية الفيلسوف، الذي عاش حياة مأسوية، طفولة مليئة بالاكتئاب والحزن والخوف نتيجة ظروف الحرب القاسية، فاكتسب حساً ناقداً جعلت من شخصيته تميل أكثر إلى التشاؤم، انتحرت والدته فخلف الحدث صدمة نفسية قوية وعميقة أثرت على حياته، التحق بصفوف الجيش النازي، وبأحدي المعارك أصيب بثلاث رصاصات استقرت إحداهما في عموده الفقري، فشلت أطرافه السفلى، لم يتمكن من إتمام رسالة الدكتوراه في مجال الفيزياء، فتقدم بأطروحة لنيل الدكتوراه في الفلسفة يتعلق موضوعها بمسألة "المنطوقات البروتوكولية"، اهتم بالمسرح والغناء، ألف مجموعة من الكتب بين فيها نظرته الرافضة للعقلانية وبعناوين تدل على ذلك "ضد المنهج""وداعا للعقل""العلم باعتباره فن". تميز بشكه لكل الحقائق مهما كان نوعها أو مصدرها، وذلك ضمن نظريته الفوضوية التي عاش طوال حياته يدافع عنها، ويعتبرها أساس تقدم العلم. اكتسب شهرة فائقة، بسبب نزعته الإنسانية، وفكره القائم على النسبية وجرأته القوية، في مواجهة دعاة العقلانية.

من خلال بعض القراءات لفلسفة "فيرابند"، يتبين أن هناك علاقة بين الواقع المأسوي في مسار حياته وفلسفته في الفوضوية واللامعقول. وتساءلت عن سبب رفضه لقيم العلم ومبادئه والشك في كل المبادرات الفلسفية والعلمية، فحاولت أن أبين للقارئ أن توجه "فيرابند" نحو فلسفة الفوضوية واللامعقول كانت نتيجة لأسباب نفسية بالدرجة الأولى، فهاهي هذه الأسباب التي جعلت "فيرابند" يرفض كل ما هو نسقي منهجي صارم يدعي أنصاره امتلاك الحقيقة؟

ولد فيرابند سنة 1924 بفينا من أب موظف وأم تمارس مهنة الخياطة، لم يتمتع بطفولته بسبب حجبه عن الأقران، نتيجة ظروف البلد القاسية الخارج من حرب، كان يقضي كل وقته داخل البيت المتكون من ثلاث غرف يتحرك بين جدرانه في عزلة تامة كثير النوم"فخلال خمس سنوات الأولى من حياته كان ينام ثلاثة عشرة ساعة في اليوم" [1]. كانت النافذة بالنسبة إليه المنفذ الوحيد الذي يطل من

[1]**Feyeraband paul. Tuer le temps ;tra de l'anglais par baudouin jurdant <<seuil ;1996 ;>>p26**

خلاله على العالم الخارجي، هذا العالم المبهم المظلم مصدر الخطر كما وصفه أبويه، هذه الفترة من حياته وقبل التحاقه بالمدرسة، كانت مليئة بالاكتئاب والحزن والخوف من الأخر نتيجة الانغلاق، هذه الطفولة القاسية غير العادية أورثته حساً ناقداً أثرت على شخصيته المتشائمة من جهة والحالمة والجامحة بالخيال من جهة أخرى.

التحق "فيرابند" "الطفل بالمدرسة سنة 1930 كان يبلغ من العمر ستة سنوات، بدأ يكتشف العالم الخارجي ويتعرف على أزقة المدينة وعلى حياة الناس، وجد صعوبة في التأقلم مع هذا العالم الجديد بالنسبة إليه، تعرض في صغره لكثير من المرض، ونادراً ما كان يعرض على الطبيب للكشف عليه،لأن أمه كانت تستعمل وسائل طبيعية فعالة في إزالة الأعراض المرضية"[1]، كان لذلك أثر على أطروحاته من خلال إشادته للطب البديل في معالجة الكثير من الأمراض المستعصية عن الحل في الطب الرسمي. في السن العاشرة من عمره عرضته أمه على طبيب نفساني بسبب التبول اللاإرادي وحالات الصرع الناتج عن حالات الخوف و القلق.

كانت مرحلة الثانوية بالنسبة إليه منعرج في شخصية "فيرابند" العلمية، متفوق في الرياضيات والفيزياء، له خيال واسع دفع للاهتمام بالفلك والمسرح للهروب من الواقع الصعب الذي كان يعيشه، مدمن على القراءة، كان يمارس أدوار رئيسية على خشبة المسرح في الثانوية، اتصاله بعالم الفلسفة كان صدفة أثناء تصفحه كتب المسرح، تعرف على بعض كتب أفلاطون وديكارت بدافع فضوله القوي وشغفه للقراءة.

بعد إتمام دراسته الثانوية وحصوله على شهادة البكالوريا سنة 1942 رحل "فيرابند" إلى ألمانيا، والتحق بخدمة العمل الإجباري التي أنشأها "هتلر"، لينخرط فيما بعد في صفوف الجيش النازي، كانت التدريبات شاقة ومتعب، التحق بفرقة المهندسين المختصة في الكشف عن القنابل وتفكيكها أو وضعها تارة، وفي سنة 1943 وأثناء الخدمة تلقي نبأ انتحار والدته المفجع، خلف الحدث صدمة نفسية قوية وعميقة أثرت على حياته، حضر مراسيم الدفن رفقة أبيه وأعضاء من العائلة في جو مليء بالحزن. "وبعد عودته للخدمة العسكرية ترقي الجندي "فيرابند" إلى رتبة ضابط، ونقل بعدها إلى جبهة القتال ليجد نفسه مرة أخري في جو من الخوف والقلق وفي سنة 1945 أثناء الحرب العامية الثانية وبأحدي المعارك أصيب بثلاث رصاصات استقرت إحداهما في عموده الفقري، فشلت أطرافه السفلى وأصبح غير قادر على السير إلا بواسطة العكاز"[2]. فالحرب انتهت بالنسبة إليه.

كل هذه الأحداث المؤلمة جعلت "فيرابند" ينظر إلى الحياة بنظرة تشاؤمية، فكان ملاذه الوحيد الموسيقي والغناء، فالتحق بفيمار(Weimar)، حيث درس الإنتاج المسرحي

[1] Feyeraband paul. Tuer le temps ;Op.cit.p27

[2] Ibid .p69.

وتاريخ المسرح والغناء. "اشرف على كتابة وتحرير حوارات ومقاطع مسرحيات وشارك في نقاشات بريخت لليساريين التي تعقب العرض المسرحي" [1]

بعد انتهاء الحرب وخروجه من المستشفى قرر العودة إلى فيينا لمتابعة دراسته الأكاديمية، دخل الجامعة لدراسة التاريخ وعلم الاجتماع، لكن سرعان ما طلب من العميد تغيير التخصص شطر الفيزياء سمحت له هذه الفرصة بمقابلة الفيزيائي"فليكس إهرنهافت"* (Flix Ehrenhaft)، اهتم بالفلسفة وتأثر بأفكار حلقة فيينا، انضم لتيار الوضعانية المنطقية وفي سنة1948 شارك في الملتقي الدولي الأول الخاص بمجتمع المدارس في النمسا، وعين أميناً للنشاطات العلمية، هذا المنصب كان بالنسبة له اللبنة الأولى في مشواره المهني والعلمي، تعرف حينها على شخصيات فلسفية وعلمية عديدة من بينهم كارل بوبر(karl popper) صاحب النزعة التكذيبية إلى جانب المفكر الماركسي "ولتارهوليستشار". (walter hollitscher)" شارك في برامج "دائرة كرافت"** والتقي برواد الوضعانية أمثال "فون رايت"(von wright) ولودفيغ فتشتاين(L.wittgenstein) إلى جانب الفيلسوفة الإنجليزية اليزابث أنسكومب (elisabeth anscombe) التي ترجمت بعض أعمال فتشتاين، تناول فيها التغيرات الجوهرية التي تحدث في المبادئ العامة من جيل إلى جيل بسبب الاختلاف في اللغة والثقافة"[2]. تأثر "فيرابند" بهذه الفكرة التي تدعو إلى تقبل الاختلاف الثقافي بين المجتمعات

وأهميته في التقدم العلمي، داعياً إلى احترام التعددية التي تعني عنده الفوضوية واللاسلطوية المعرفية، فسميت فلسفته "باللاعقلانية الفوضوية"، إنها عقلانية متفتحة ترفض أن يؤسس العلم على قواعد صارمة والغرض من ذلك فتح مجال البحث أمام أنماط وأساليب أخري من التفكير، ساهمت في عملية بناء العلم، وأي محاولة تقوم على المنهج الواحد الصارم الذي يدعي اليقين سوف يعيق العمل الإبداعي ويثبط العزائم ويكون سبباً في عرقلة التقدم العلمي، "فكل القواعد التي يدافع عنها علماء وفلاسفة العلم باعتبارها شكلاً تنظيمياً للمنهج التعليمي إما عديمة النفع...أو ضعيفة"[3]. تبلورت هذه الأفكار لذي "فيرابند"

---

[1]– فيرابند بول،ثلاث محاورات في المعرفة، ترجمة محمد أحمد السيد منشأة المعارف،الإسكندرية، مقدمة المترجم،(ب ط) (ب ت) ص06.

* فيزيائي نمساوي كان له الفضل في تطوير الفيزياء النووية حيث تمكن من تحديد مقاييس الضغط الإلكترونية

** نادي فلسفي أسسه فكتور كرافت(**victor kraft**) تبني الوضعانية،هدفه تأسيس فلسفة قائمة على الاكتشافات العلمية،و مناقشة واقع و حقيقة النظريات،و فصل الفلسفة عن كل ميتافيزيقا.

[2]feyraband paul ;contre la mèthode ;esquisse d'une thèorie anarchiste de la connaissance ;Henri guènin paracini ;universitè de paris IX Dauphine ; DEA n 124 sèminaire de recherche :philosophie et management professeur responsable :Yvon Pesqueux 2002 ;p21.

[3]– فيرابند بول، العلم في المجتمع الحر، تر السيد نفادي المجلس الأعلى للثقافة، مصر2000م، ص113.

عندما بدأ يشك في مبادئ الفيزياء، والسبب في ذلك هو عدم قدرته على إيجاد حل لحساباته حول الإلكترو ديناميكا، فلم يتمكن حينها من إتمام رسالة الدكتوراه في مجال الفيزياء، فغير وجهة دراسته نحو الفلسفة يقول "فيرابند" "لقد اكتشفت أن مبادئ الفيزياء الهامة تقوم على افتراضات منهجية يتم تجاوزها مع تقدم علم الفيزياء، فالفيزياء وإن كانت تستمد سلطتها من تلك الأفكار، غير أنه لا يؤخذ بها أبداً أثناء البحث الفعلي"[1] .

في عام 1951 تقدم "فيرابند" بأطروحة لنيل الدكتوراه في الفلسفة يتعلق موضوعها بمسألة "المنطوقات البروتوكولية" عوض دكتوراه في الفيزياء، وبعد فترة قصيرة قضاها في دراسة فلسفة العلم في "كوبنهاجن" و"ستوكهولهم" و"أوسلو". قرر الرحيل إلى انجلترا رفقة "فتغنشتاين" ليلتحق بجامعة كامبردج سنة 1952، لكن وفاة هذا الأخير حالت دون ذلك، فالتحق "بكارل بوبر" في مدرسة لندن للاقتصاد والسياسة فانبهر بأفكاره، وتبني مبدأ "القابلية للتكذيب"* ودافع عنه طويلاً ضد النزعة الاستقرائية حيث أصبح يؤخذ هذا المبدأ في دائرة "كرافت" التي كان ينتمي إليها "فيرابند" كمبدأ مسلم به دون نقاش. غير أن هذا الانبهار بفلسفة "بوبر" لم يستمر طويلاً، بل تعرض لتغيير درامي أضحي يتعلق بدحض أفكار "بوبر" التي شكلت في نظره عائق أمام تقدم العلم، فعارض "منهج التكذيب"* ووصفه بالساذج، وأنه لم يخرج كثيراً عن إطار الوضعية المنطقية، وقام فقط بتكرار أقوالهم ويتضح ذلك من خلال ما قاله "فيرابند"عن مشروع بوبر والذي يصفه بالفاشل" إن الكثير من النظريات العلمية لا تقبل التكذيب بالطريقة التي يصفها "بوبر" وليس للتفنيد أي دور في تاريخ العلم"[2] ويضيف في موضع أخر "أنه من السذاجة أن يتخلى العلماء عن مشاريعهم العلمية الضخمة ونظرياتهم بمجرد أنها تتعارض مع بعض الوقائع"[3]

كثير من الحالات كانت تبدو كاذبة اتضح بعد فترة أنها ليست كذلك، وتم تفسيرها وتعديلها بواسطة الفروض العينية**وعلى الرغم من ذلك فإن فكرة "فيرابند" لا تؤسس على إقصاء النظريات، فإن كان "بوبر" يستبعد النظريات غير القابلة للتكذيب، فإن "فيرابند" يدعو إلى بقائها تماشيا مع مبدئه القائل"كل شيء جائز"

---

[1] Oldryod david roger.The arch of knowledge ;methirn ;n y ;p335.

*يستعمل كارل بوبر مصطلح القابلية للتكذيب**(Falsification)**كمعيار يشير إلى الخاصية الأمبريقية لنسق من القضايا العلمية أو لقضية واحدة:بمعني مدي إمكانية حمل النظرية المنطقية لمكذب محتمل أو ممكن.انظر كتاب لخضر مذبوح،فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر ص123.

*التكذيب**(Falsification)**هو الحكم على نسق ما بالرفض، فنحكم على النظرية العلمية بالتكذيب إذا تناقضت التنبؤات المستنبطة منها مع الواقع التجريبي.

[2] −feyrabend paul ;Adieu la raison tra Baudouin gurdant éditions du seuil ;p198.

[3] – فيرابند بول، ثلاث محاورات في المعرفة، مرجع سابق،ص19

**عبارة عن فرضيات تفسيرية يقترحها العالم من أجل إزالة التعارض بين النظرية والوقائع المدروسة

بدأ "فيرابند" ينشر مقالاته الأولى عام 1954 حول ميكانيكا الكم، التي انتقد فيها مدرسة "كوبنهاجن"*** ورغم إشادته إلى قوة البراهين العلمية والعقلية التي قدمها كل من "ويرنرهايزنبارغ"(werner heisenberg) و"نيلزبور"(niels bohr) في الدفاع عن وجهة نظرهم، إلا أن هذا التصور لا يمكنه أن يحمل الحقيقة المطابقة للواقع طالما لم تنافسها نظريات أخري، فتطور العلم مرهون بفتح المجال أمام أطروحات مختلفة عن تلك التي يقدمها دعاة الموضوعية، فالحقيقة لا يمكنها أن تتجسد في تصور واحد دون الأخر بل تتحقق من خلال تعدد النظريات ووفرتها"[1]. وجد "فيرابند" في هذا الرد فرصة لتبيان توجهه الفلسفي القائم على الفوضوية الإبستمولوجية ومبدأ وفرة النظريات.

بمساعدة بوبر تحصل على إجازة من جامعة "بريستول" (Bristol)عام 1955 م بإنجلترا قدم فيها دروساً عن فلسفة "فتغنشتاين"وميكانيكاالكم، كان ذلك منصبه الأكاديمي الأول. فتقرب أكثر من الفلسفة الإنجليزية، وأثناء زيارته إلى مدينة ألباخ(Alpbach) بألمانيا تعرف على "فليب فرانك"* (Philippe Frank) فأعجب بأفكاره وسعة ثقافته وقوة ذكائه وطريقته في تحليل القضايا."حتى أن الكثير من الأطروحات التي تبناها "فيرابند" فيما بعد ترجع إلى حواراته مع "فلييب فرانك" الذي ألهمه المعلومة حول اكتشافات "غاليلي"(Galilèe) ويؤكد بأن فصول كتابه "ضد المنهج" التي عالج فيها أبحاث غاليلي مدينة إلى "فلييب فرانك"[2].

عام1958م رحل "فيرابند" إلى كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ليعمل أستاذ بجامعة بيركلى(Berkeley)، وهناك اكتسب شهرته الأولي المبكرة عن أعماله في فلسفة الفيزياء خاصة ميكانيكة الكوانتم،"كان من الأوائل الذين عالجوا مفهوم "التتمة"** الخاصة بتحديد طبيعة الضوء كما تصورها "نليز بور"[3]، اهتم بمعالجة الكثير من القضايا كعلاقة النظرية بالملاحظة والتي كانت تعتبر من المسلمات لذي أنصار الوضعية فالنظرية عندهم تمثل الإطار الفكري الذي يربط بين الوقائع والفروض وتضفي عليه نوع من الانتظام والترابط، فتتخذ صورة علاقة تماثلية، لكن "فيرابند" ميز بين حدود النظرية وحدود الملاحظة،

***من أهم روادها ويرنر هايزنبارغ، ونيلز بور،تنطلق من فكرة أن التفسيرات المقدم الخاصة بميكانيكا الكم لا تقدم تفسيراً موضوعياً للظواهر الطبيعية بل أي تفسير يقدم لا يخرج عن إطار الاحتمال و الرصد القياسي.

[1]– feyraband paul ;contre la mèthode ;esquisse d'une thèorie anarchiste de la connaissance ;Op ;cit.p23

*فيزيائي و رياضي وفيلسوف ولد بالنمسا (1884–1966)ذو نزعة وضعية وأحد أعضاء جماعة فيينا،انتقل إلى أمريكا ليدرس الفيزياء و الرياضيات بجامعة هارفارد.

[2]– Feyeraband paul. Tuer le temps ;Op.cit ;p133

**مبدأ التتمة أو التكامل يقصد به استخدام النظريتين الموجية و الجسيمية معا، مع التأكيد على أن صدق إحداهما لا يؤدي بالضرورة إلى كذب الأخرى.

[3]– فيرابند بول،ثلاث محاورات في المعرفة،مرجع سابق،ص08.

مؤكداً أن ما تحمله النظريات من حقائق ليست هي الحقائق نفسها التي تحملها الوقائع في ذاتها. كما عالج مشكلة العقل والجسم، وتبلورت لديه مجموعة من الأفكار حددت توجهه الفلسفي المبني على النقد، فنشر مقال له في عام 1962 يتعلق بمفهوم "اللامقايسة"*إذ أن جانب كبيرا من الأفكار التي سادت عن هذا المفهوم في فلسفة العلم المعاصرة، يرجع الفضل فيها في واقع الأمر لأطروحات "فيرابند" المبكرة في هذا الموضوع، والتي لم تخلوا من الطابع النقدي، هذا الطابع الذي لم يسلم منه المشروع الغربي في مجال التعليم فهو يقول في هذا الصدد"لقد كانت وظيفتي تتلخص في أن أنفد السياسات التعليمية لولاية كاليفورنيا وكان ذلك يعني أن أقوم بتلقين الناس ما تعتقد شرذمة من المثقفين أنه معرف، ولم أفكر بعمق في مهام تلك الوظيفة التي ما كنت آخذها مأخذ الجد لو علمت بها"[1] تولدت هذه القناعة لديه من خلال التجربة التي اكتسبها في ميدان التعليم بالجامعة.

مع نهاية الستينات بدأت العروض تتساقط على "فيرابند" فتقلد حينها عدة مناصب علمية، وعمل بأماكن كثيرة منها، على سبيل المثال "مينابوليس"(Minneapolis) "ويل"(yale) بالولايات المتحدة،وأوكلاند (Auckland)"بنيوزيلاندا"، برلين و"كسل(Kassl) بألمانيا، انتقل إلى"لندن"ودرس بمعهد الاقتصاد، مقاييس تتعلق بتاريخ، الإلكتروديناميكا ونظرية الكوانتم. وتعرف حينها على "امري لاكاتوس"* وقد شرع "فيرابند" بعد ذلك في كتابة عدة أبحاث يروج فيها لفكرة وفرة وتعدد النظريات، وهي أحد الأفكار المركزية في فلسفته. نشر مقال عام 1969بعنوان "العلم بدون تجربة" بين فيه تهافت النزعة الإختبارية التي تستند إلى أهمية التجربة في بناء النظرية، موضحاً أن الحقائق العلمية لا تستند إلى الخبرة المباشرة. ثم نشر مقال أخر عام1970 "ضد المنهج" كان بمثابة إعلان صريح، تخلي فيه نهائياً عن النزعة البوبرية التكذيبية، تبعه بعمل هام تمثل في "أول كتاب له عام 1975 يحمل نفس العنوان "ضد المنهج" ترجمة إلى حوالي سبعة عشرة لغة، وقد كان في نية "فيرابند" أن يقوم بعرض أفكاره الأساسية قي مجال فلسفة العلم، ثم يقوم "لاكاتوس" بالرد عليه في نفس الكتاب، غير أن الوفاة المفاجئة "للاكاتوس"عام1974 أحالت دون إتمام

---

* تشير الكلمة من الناحية الغوية إلى عدم القدرة على تقدير شيء بمثاله،أما اصطلاحاً فهي عدم امكانية المفاضلة بين النظريات بطرق موضوعية،أو عدم قابلية النظريات العلمية للقياس المتكافئء للحكم عليها بالمعايير نفسها.انظر البعزاتي بناصر،الإستدلال والبناء،ص317.

[1]– how to be agood empiricist aplea for tolerance in matters èpistemological.In nidditch.p.h.ed.the philosophie of science.oxford university press.p.118.

* ولد ببودابست 1922–توفي في لندن1974.فيلسوف علم انجليزي من أصل مجري،رياضي و فيزيائي،درس بمدرسة لندن للاقتصاد رفقة فيرابند وتحت إشراف كار بوبر،أسس ما يعرف في فلسفة العلم "ميثودولوجيا برامج البحث العلمي" وناشط سياسي في الحزب الشيوعي عرف بمقاومته للنازية.

ذلك المشروع"[1]. اكتسب هذا الكتاب أهمية بالغة في فلسفة العلم لأنه قدم طابعاً جديداً غير مألوف عبر فيه "فيرابند" عن توجهه "الفوضوي"[**]، القائم على رفض فكرة المنهج العلمي الصارم بكافة صوره، بدءا بالاستقراء الذي تبنته الوضعية المنطقية وجعلت منه المنهج الوحيد في الكشف عن الواقع، كما وجه نقداً لاذعاً للمشروع البوبري صاحب النفوذ الواسع في الحقل الإبستمولوجي،واصفاً بوبر والبوبريين وجميع العقلانيين بأقبح النعوت. هكذا استهل "فيرابند" فلسفته في العلم بالهجوم على مناهج البحث مهما كان نوعها ومصدرها، فالقول بمنهجية علمية تكون بمثابة المعيار الشمولي الذي تستند إليه العلوم، أمر لا يتماشي مع الممارسة العلمية الواقعية، ولا تؤكده الأبحاث التاريخية في العلم إذ يقول:"إن فكرة المنهج التي تحتوي على مبادئ صارمة لإدارة العملية العلمية تلاقي صعوبة كبيرة عندما تواجه نتائج الأبحاث التاريخية، ونجد إذاً أنه لا توجد قاعدة واحدة معقولة قابلة للتفنيد مهما كانت مؤسسة ابستمولوجيا، لا يتم انتهاكها في وقت ما"[2]. تعرض "فيرابند" إلى عدة انتقادات من طرف معاصريه خاصة بعد صدور كتابه ضد المنهج، اعتبرت أطروحاته في الفوضوية مجرد أراء خالية من أي معني، فجاء رده سريع على منتقديه من خلال مقال نشره عام1976 يبين فيه أهمية تعدد الخبرات في الأبحاث العلمية، مشيراً إلى أن الفوضوية هي معرفة وصورة جديدة من صور النزعة النسبية.

لقد طور "فيرابند" آراءه التي أوردها في كتابه ضد المنهج، في أعمال أخرى أهمها "العلم في المجتمع الحر"والذي نشر عام1978 تضمن توضيحات أكثر حول النظرية الفوضوية ودورها الفعال في تحرير المجتمع من سلطة العلم المطلقة، وفتح المجال أمام التقاليد الأخرى، والتأكيد على النزعة النسبية باعتبارها عنواناً للحقيقة العلمية. كما قام بكتابة "أوراق فلسفية"عام 1981 في ثلاث أجزاء، نشر الجزء الأول باللغة الألمانية، وجزأين باللغة الإنجليزية، حيث استند في تحليله للنظريات العلمية إلى تاريخ العلم، واستقي جميع حججه سواء في النقد أو في التأييد من هذا التاريخ، وبين أهمية الشواهد التاريخية في الممارسات العلمية،"فأي فكرة أو مبدأ أو نظرية ترتبط بالظروف التاريخية التي أثمرتها"[3]، فتاريخ العلم بالنسبة "لفيرابند"ركيزة أساسية لتقدم العلم، ووسيلة لمعرفة النشاط المعرفي عامة والعلمي على وجه الخصوص.

---

[1] – فيرابند بول،ثلاث محاورات في المعرفة،مرجع سابق،ص09

[**]الفوضوية(**Anarchisme**)مصطلح استخدمه فيرابند في فلسفته العلمية للتعبير عن التعددية المنهجية،فليس هناك منهج وحيد يمكن أن نقول عنه بكل يقين أنه أحسن المناهج و أفضلها، إنما هناك ما يطلق عليه فيرابند "كل شيء يصلح"وهو المبدأ الذي اعتمد عليه لرفض المنهج الذي يدعي أصحابه اليقين.وهي تختلف عن الفوضوية في المجال السياسي التي ترفض كل شيء.

[2] –فيرابند بول، ضد المنهج،ترجمة ماهر عبد القادر محمد علي، طبعة للطالب،الإسكندرية،2005م ص 33.

[3] – عوض عادل،الإبستمولوجيا بين نسبية فيرابند و موضوعية شالمرز،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،ط 1،2004م،ص19

واصل"فيرابند" إنتاجه الفكري بنشر كتاب أخر بعنوان"العلم من حيث هو فن"عام1984 بين فيه التفاعل الموجود بين مختلف مكونات الحياة الذهنية، ودور الأنشطة الاجتماعية سواء كانت علمية، سياسية فنية، ثقافية في عملية التطور دون إقصاء أي جانب عن الأخر هذا التداخل يعبر عن أبعاد حياة الإنسان المترابطة، حيث يصعب الفصل بين عناصر الذوق والإدراك، وعلى حسب "فيرابند"العلم فنا والفن علماً، وهدفهما واحد هو معرفة العالم كما هو"[1]. ويشير إلى العلاقة الوطيدة بين الفن والعلم من خلال عصر النهضة أين تطورت الفنون والعلوم جنباً إلى جنب وبصفة متوازية.

يتابع فيرابند سلسة كتاباته ليصدر عام1987، مؤلفه"وداعا للعقل" عبارة عن مجموعة من المقالات، مثل هذا الكتاب مرحلة هامة من مراحل الإبستومولوجيا المعاصرة، هاجم من خلاله العقل والعقلانية، كما هاجم فكرة الموضوعية التي يحتمي من وراءها العقلانيون لتبرير مواقفهم وتوجهاتهم السياسية.

تساءل فيرابند عن مشروعية نتائج العلوم المعاصرة وعن شمولية المعرفة العلمية إلى جانب وسائل تطبيقاتها. في مقابل ذلك دافع عن القيم الإنسانية وعن التنوع الفكري والثقافي وتعدد وجهات النظر واختلافها في تفسير الواقع، والسماح لأكثر قدر ممكن من الأفكار والتقاليد الأخرى بالظهور والتعبير عن إمكانياتها، لأن في ذلك مساهمة في تقدم العلم وتشجيع روح الإبداع، ورفض السلطوية التي يمارسها البعض بحكم أنهم يمتلكون الحقيقة ويمارسون العقلانية يقول "فيرابند""إن قنوات العقلانية المستخرجة من قبل الفلاسفة تعتبر جد محددة ولا تسمح للعلم بأن يكون نشاطا مبدعا، ومن ثم فإن محاربة العقل الكلي اللاتاريخي تصبح مسألة مشروعة هنا ويفقد العقل مفهومه المطلق إذا علمنا أن: التجدر السوسيو–ثقافي للعقل يجعل العلم نسبيا، إن تعقيد الواقع والتنوع الإنساني يسمح بأنواع أخرى من العقلانية، أليست الطرق المؤدية إلى الحقيقة مختلفة؟"[2].

قدم "فيرابند"كتاب لأخر عام1991 بعنوان "ثلاث محاورات في المعرفة" عبر فيه عن أخر آراءه في فلسفة العلم، بكل جوانبها المعرفية والمنطقية والاجتماعية والسياسية، اختار طريقة المحاورة لعرض حججه الفلسفية بصورة مباشرة عن لسان المتحاورين، مستخدماً أسلوب الرواية المسرحية التي تضفى على العمل جواً من الألفة والتشويق.

أصيب "فيرابند"بسرطان في الرأس دخل على إثره إلى المستشفي، وقبيل وفاته بفترة قصيرة، أنهي سيرته الذاتية في كتاب عنونه بـ"قتل الوقت"، صرح في أخر صفحاته "ما أريد أن أتركه هو ليس ما كتب

---

[1] feyrabend paul.la science en tant qu'art ;tra ;Francoise perigant édition albin Michel s.a paris 2003p109.

[2] – بول فيرابند،وداعا للعقل،نقلاً عن عبد السلام بنعبد العالي،العقلانية وانتقاداتها،(ط 1) دار توقبال:دار البيضاء،2004 ص49.

من مقالات وكتب أو تصريحات فلسفية، لكن ما يجب أن يترك هو الحب"[1]. بعدها تدهورت صحته بسبب نزيف في الدماغ، وبعد صراع مع الموت غادر "فيرابند" الحياة في 11 فيفري 1994، سنة بعد وفاته صدر هذا الكتاب.

شكلت سيرته أحد أهم منطلقات فلسفته، فالاغتراب والوحدة والترحال الدائم ومواجهة المواقف الصعبة والحزينة، جعلت "فيرابند" يشك في كل ما هو صارم يدعي أصحابه اليقين و المطلقية، فكان مدافعاً عن الإنسان بكل ما تحمله الكلمة من معني، فاقتحم مجال اللامعقول والفوضوية، وقد يكون سببه تلك المعانات النفسية وصعاب الحياة وانتكاس رغبته في الحصول على السعادة بالطريقة العقلانية، فبحث عنها في عالم اللامعقول الصامت.

ومن المعروف عن شخصية "فيرابند" أنه كثير الإثارة، شديد النقد، مثير للجدل والسجال كما عرف بشكه الكبير لكل حقيقة مهما كان نوعها أو مصدرها، وذلك ضمن نظريته الفوضوية التي عاش طوال حياته يدافع عنها، ويعتبرها أساس تقدم العلم. اكتسب شهرة فائقة، بسبب نزعته الإنسانية، وفكره القائم على النسبية وجرأته القوية، في مواجهة دعاة العقلانية.

[1] Feyeraband paul. Tuer le temps ;Op.cit ;p228